

فيا رَبِّ جَبِّبْنِي إِلَيْهَا

[الطويل]

أهَاجَكَ، أم لا، بالمداخِلِ مَرَبَعٌ،
 ودارٌ، بأَجْرَاعِ العَدِيرَيْنِ، بَلَقَعُ^(١)؟
 ديارٌ لَسَلَمِي، إذ نَجِلُّ بِهَا مَعاً،
 وإذ نَحْنُ مِنْهَا بِالمَوَدَّةِ نَطْمَعُ
 وإن تَكُ قد شَطَّتْ نَوَاهَا ودارُهَا،
 فَإِنَّ النَّوَى مِمَّا تُشِثُّ وَتَجْمَعُ^(٢)
 إلى اللّهِ أَشْكَو، لا إلى النَّاسِ، حُبَّهَا،
 ولا بُدَّ مَنْ شَكوى حَبِيبٍ يُرَوِّعُ
 أَلَا تَتَّقِينَ اللّهَ فَيَمَن قَتَلْتِهِ،
 فَأَمْسَى إِلَيْكُمْ خَاشِعاً يَتَضَرَّعُ؟
 فَإِنَّ يَكُ جُثْمَانِي بِأَرْضِ سِوَاكُمْ،
 فَإِنَّ فَوَادِي عِنْدِكَ الدَّهْرَ أَجْمَعُ

(١) المداخل: هضاب بأرض بيضاء، يشرف على الريان، والريان: جبل بنجد
 في ديار بني طيئ لا يزال يسيل منه الماء. الأجرع: جمع جَرَع:
 بالتحريك، وهو الكئيب جانب منه رمل وجانب حجارة.
 (٢) شَطَّتْ: بَعَدَتْ.

إذا قلتُ هذا، حين أسلو وأجتري
 على هجرها، ظلتُ لها النفسُ تشفعُ
 ألا تتقينَ اللهَ في قتلِ عاشقٍ،
 له كبدٌ حرى عليكِ تقطعُ
 غريبٌ، مَشوقٌ، مولعٌ باذكاركمُ،
 وكلُّ غريبِ الدارِ بالشوقِ مُولعُ
 فأصبحتُ، ممّا أحدث الدهرُ، موجعاً،
 وكنتُ لريبِ الدهرِ لا أتخشعُ
 فياربِّ حبّيني إليها، وأعطني
 المودةَ منها، أنتُ تُعطي وتمنعُ!
 وإلا فصبرني، وإن كنتُ كارهاً،
 فإني بها، يا ذا المعارج، مُولعُ^(١)
 وإن رمتُ نفسي كيف آتي لصرمها،
 ورمتُ صدوداً، ظلتِ العينُ تدمعُ
 جزعتُ حذارَ البين يومَ تحمّلوا،
 ومن كان مثلي، يا بُثينةُ، يجزعُ^(٢)

(١) [ذو المعارج: من أسماء الله تعالى] أي: المصاعد والدرج، [ومنه المِعراج] والمراد معارج الملائكة إلى السماء.

(٢) ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٢: ٤٣٥، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي ٤: ٢٧/٨: ٤٣، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٦٢٣، لسان العرب ١٤: ٢٧٣ مادة (دنا) «قول جميل: ... وحقّ لمثلي... أراد أن يجزع».

تمتعتُ منها، يومَ بانوا، بنظرةٍ،
 وهل عاشقٌ، من نظرةٍ، يتمتعُ؟
 كفى حَزناً للمرءِ ما عاشَ آتِه،
 ببَيْنِ حبيبٍ، لا يزالُ يُروغُ
 فواحزنا! لو ينفَعُ الحزنُ أهله،
 وواجزعاً! لو كان للنفسِ مَجزعُ
 فأئِي فؤادٍ لا يَدُوبُ لِمَا أرى،
 وأئِي عيونٍ لا تجود فتدمعُ؟^(١)



(١) أورد لسان العرب بيتاً لا يوجد في الديوان على نفس الوزن والروي والقافية ٨: ٣٩٦ مادة (وضع) «ودين وضع: موضوع؛ عن ابن الأعرابي، وأنشد لجميل:

فإن غلبتكَ النَّفسُ إلا وُزودَهُ فَدَينِي إذا يا بُتَّيْنُ عنكَ وضعُ»